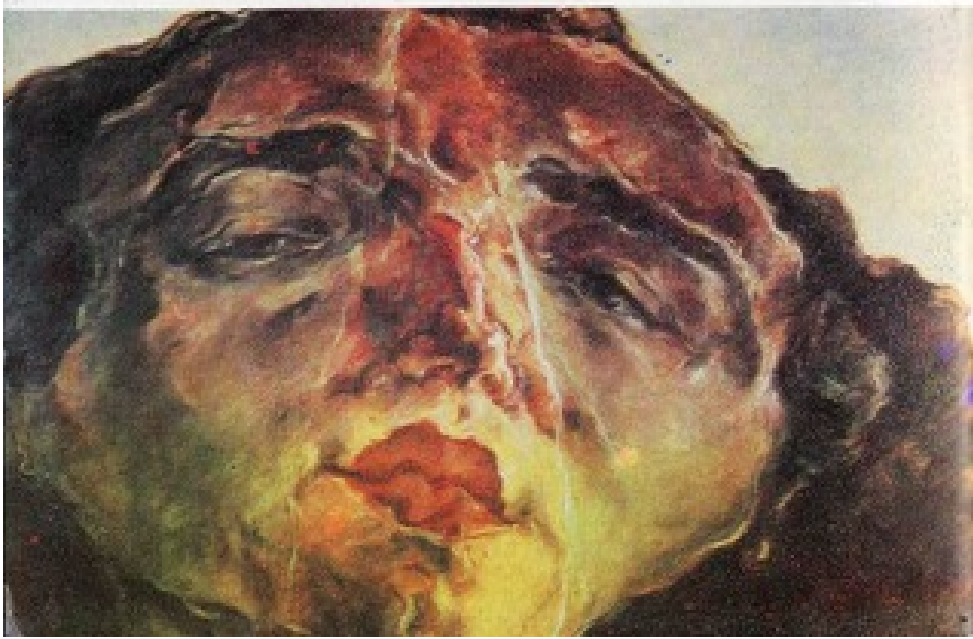


خیری عبد الجواد



کتابات  
جدیدہ

الکیمی



# منتدی سور الأزبکیة

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

كُتَابَات  
جَدِيدَة

رواية

# الجنى

خيرى عبد الجواد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

## كتاب جديدة

رئيس مجلس الإدارة

أ. د سمير سرحان

رئيس التحرير

إبراهيم عبد المجيد

مدير التحرير

فتحى عبد الله

سكرتير التحرير

أيمن حمدي

الإشراف الفني

صبرى عبد الواحد

مستشارو التحرير

أ. د أحمد درويش

أ. د صلاح فضل

أ. يوسف القعيد

مدخل





كنت

أجلس واضعاً ساقاً فوق أخرى، وأمامي، وضعت علبة السجائر والولاعة، وكان طفلي الذي لم يكمل بعد شهره الخامس، يجلس في مواجهتي على الكنبة بعد أن وضعت حوله مساند تجعل وضعه مستقراً. كان ينظر إليّ ويضحك ضحكة مبهمة، مأكرة، وكثيراً ما كنت

أسأل نفسي: كيف لطفل ابن خمسة شهور أن يكون مأكراً وذا دهاء؟ هذا بالضبط ما كانت تنبئ به عيناه بالتماعها الغريب كلما نظرت إليه، المهم، أخذت علبة سجائري وسحبت منها واحدة أشعلتها ووضعت العلبة مكانها، وهممت بأخذ النفس الأول، حين مد طفلي يده إلى العلبة التي تبعد عنه مسافة كبيرة، لكنني بعينيّ هاتين رأيت ذراعه تستطيل، ورأيتة يقبض بكفه على العلبة والولاعة دفعة واحدة، وبأصبع مدرية، أخرج واحدة وضعها بين شفتيه وأشعلها، ثم إنه نظر إليّ من تحت لتحت نظرة متحدية، وأخذ نفساً واحداً طويلاً متواصلًا توهجت على أثره السيجارة وأحدثت شرراً وهي تططق قبل أن تتحول إلى رماد. نظرت إليه مذهولاً وقد فتحت فمي من شدة دهشتي دون أن أنطق، وفي اللحظة التالية أطلق نفسه فخرج من فتحتي أنفه وفمه دخان كثيف

أخذ يقلو كثعبان في سماء الحجرة وابتلعنى داخله، وشعرت باختناق، وسمعت ضحكة مجلجلة أعقبها سهيل وعواء ومواء ونهيق، تداخلت الأصوات حتى خرجت صوتاً واحداً يحمل كل الأصوات آتياً من ناحيته، فنظرت إليه، وحين رأنى أنظر إليه، أخرج لى لسانه ونتره فى الهواء فأحدث فرقة بوميض، وبدأ لسانه يلتف حول رقبتى، أخذت أسعل وبدأ هو يضغط بشدة على رقبتى فتدلى لسانى وجحظت عيناى وكددت أفارق الحياة لولا أننى تشبثت بآخر ما تبقى لى من نفس، أمسكت باللسان الملفوف حول رقبتى بيد لأخفف قليلاً من ضغطه، وباليد الأخرى شددت الجزء الملتصق بفمه شدة رجل ميت، وكم كانت دهشتى حين انخلع فى يدى رخواً طرئاً وأخذ اللسان الحلزونى ينكمش ويتضائل حتى عاد إلى وضعه الطبيعى، لسان طفل لم يتجاوز شهره الخمس بعد، ورأيته يبكى، وعيناها أخذتا تنظران إلى بتوسل، بينما ملامحه أخذت تتشكل بصورته كما أعرفها، اقتربت منه ببطء وحذر ولسانه فى كفى، مؤخرته تقطر دماءً، بينما الفم الصغير المفتوح غارق فى دمانه ويتقلص ألماً. مددت يدى باللسان وأنا أضبطه، جعلت قاعدته فى داخل الحلق، أما طرفه المدبب، فقد ثبته بين سقفى الحلق جيداً، ولما انتهيت، جلست فى مواجهته لاهثاً مجهداً، حتى اذا ما هدأت قليلاً، أشعلت سيجارة، وبينما آخذ نفساً وأتأمل ملامحه، نظر إلىّ وابتسم وقال لى: إغ. وذراعاه الصغيران تدعوانى لحمله، وفى لحظة، كان غائباً فى حضنى.

يمكننى تلخيص كل ما حدث فى عبارة بلاغية أكثر تركيزاً: «لقد بدأ الجنى يعلن عن نفسه، وهذه مناورته الأولى».



لأن ما حدث بعد ذلك أعجب .

كان الوقت مساء الخميس، وكان التليفزيون يعرض فيلم السهرة «بين الأطلال»، وهذا الفيلم تحديداً أحفظه، ولكنى جلست أتابع باهتمام المؤلف الشهير الجالس على الشاطئ يكتب روايته الجديدة، بينما فتيات العجمى الجميلات يتحلقن من بعيد يتفرجن عليه ويتأملن انهماكه فى التأليف، وكل منهن تتمنى الفوز بنظرة منه، وهو غير ملق بالأل لكل من حوله . كنت أحب هذه اللقطة، فقد شكلت فى خيالى حكايات ومغامرات عن عالم الكتابة والكتاب، فأن تكون مؤلفاً مشهوراً وسيماً وغنياً، لا تفعل شيئاً فى دنياك سوى أن تجلس على شاطئ العجمى، البحر أمامك، والنساء يرتدين البكىنى حولك يتهامن عنك، بينما أنت تكتب، تلك هى الحياة كما كنت أريدها، وكم تمنيت أن أكون مؤلفاً مشهوراً لا لشيء إلا أن أكون مثل بطل هذا الفيلم، فقد تتكرر معى المشاهد بعينها وأجد نفسى محاطاً بكل هذا الجمال الأرسقراطى الرفيع، وكثيراً ما فكرت فى لقطة أخرى نغصت علىّ حياتى فترة طويلة: أن تجلس على شاطئ ما هائماً ومندمجاً فى لحظة غروبية خالصة لك وحدك، والشاطئ ليس به صريخ ابن يومين، وقرص الشمس الأحمر الدامى يلون السماء والماء بلون الغسق، وفجأة، تمر أمامك فتاة ترتدى البكىنى متجهة إلى الماء، طويلة، معشوقة القوام، بيضاء ملفوفة ذات جمال أخاذ، تأخذك من تأملاتك فى شمسك الغائبة، تمر دقائق وتراها تغرق وتصرخ تستغيث بك، ولا ينقذها سواك، وبعد إفاقتها تتجانبأ أطراف الحديث، وتعرف أنها تحب القراءة، وأنها مفتونة بكاتب بعينه، وأنها تحفظ كل أعماله، وليس لها هدف فى الحياة سوى رؤيته والتعرف

عليه، وتكون مفاجأتك لها أن هذا الكاتب هو أنت دون خلق الله أجمعين، يا حلاوة.

إيبيه، ما علينا، المهم أننى غمزت لزوجتى بطرف عيني وأشرت إلى الولد الذى أخذ يتسحب هنا وهناك محدثاً جلبة، وهمست لها: حاولى أن تنيميه. فما كان منها إلا أن حملته وضمته إلى صدرها وهى تهدده وتغنى له. وظلت على هذه الحال مدة، هل نام؟ كنت أظن ذلك حين لمحت إغماضة عينيه وصوت نفسه المنتظم، فأشرت لها أن تضعه فى السرير الوحيد الذى نملكه، فوضعتة ووقفت تتزين أمام المرأة، ثم إنها اندست فى الفراش بجانبى. وكنت أهم بمداعتها حين لمحت فى ظلام الحجرة، عيناه كانتا تنظران لى، بينما بريقهما أربعبنى، تسمرت دون حركة، وظنت هى أن شيئاً قد حدث لى فقالت مالك. أشرت هامساً: انظرى. ولما نظرت ولمحت عيناه نفخت فى الهواء قائلة: ابنك خلفه قرد، شيطان فى صورة طفل. وفى محاولتها لإنامته مرة أخرى، اذا به ينتصب جالساً فجأة ويتخطى أمه ويندس بيننا، سحبت الغطاء فوق رأسى معطياً لهما ظهري وأنا أنفخ من الغيظ، وعلى الفور بدأت أنصرف بذهنى إلى هناك، حيث كل النساء جميلات، وحيث كل شىء مباح بمجرد استدعائه وتخيله، فأخذت فى تجميع أشلاء امرأة ليس كمثلهما امرأة على ظهر الأرض، وقد اخترت من كل واحدة أحسن ما فيها، وكنت أهم بمداعتها حين حدث الآتى: أظلمت شاشة ذهنى فجأة، وتوقف كل تفكيرى، وسمعت صوتاً آتياً من بعيد هامساً وواضحاً: عيب يا بابا. كان صوته، ولمحت عينيه تنظران

نحوى بتحد وهما تلتمعان وسط الظلام، بينما أمسك فى إحدى يديه مقصاً كبيراً يقطر دماً، فى يده الأخرى لمحت قطعة من الأحبال الدقيقة ملتفة حول نفسها وملوثة بالدماء، أشار إلى ما فى يده قائلاً: كل أحلامك فى يدي الآن، عيب يا بابا ما كنت تهم بفعله.

قمت مفزوعاً أكاد أبكى من شدة الغيظ، تلفت أبحت عنه، كان نائماً بجوارى يغط فى نومه، تعجبت وناديت على زوجتى، كانت هى أيضاً غارقة فى النوم، سحبت الغطاء وتأهبت للنوم مرة أخرى، حين صحت هى فجأة وأخذت تتلفت حولها، بينما صدرها يعلو ويهبط انفعالاً، وبعد أن هدأت قليلاً قالت: غريبة. قلت ما هو الغريب. حلمت حلماً عجيماً. قلت لأجبتها تكمل: اللهم اجعله خيراً. أشارت إليه وقالت: كنت أحلم حين انقطع الحلم فجأة وسمعت من يقول لى: عيب يا ماما. كان صوته، لكنى لم أره، وكنا ننام، لمأ نظرنا إليه فلمحنا ابتسامة مأكرة تعلق وجهه النائم.

يمكن شرح العبارة الآن:

سأسميها اللعب مع الجنى، أمارسها أنا وهو، أكونه فى لحظات، ويكوننى فى أخرى، نتبادل أدوارنا ونلعبها سوياً: أنت أنا، وأنا أنت. من الجنى، أنا، يعنى أنت. أنا أنت، وأنت أنا، من الجنى، أنت، يعنى أنا. أنت أنا، وأنا أنت، من الجنى!؟

\*\*\*





حين قامت الحرب بيننا، نحن أبناء حارة على أبو محمد، وبين شارع عشرة الكبير، بعياله الذين يبان الواحد منهم مثل الفلق، لم يكن يستطيع أحدنا التنبؤ بالنتيجة النهائية، ومن الذى سوف يكسب فى النهاية. لكنها بدأت، وما كان علينا إلا أن نحارب مهما كانت الخسائر، ومهما كانت النتيجة.

هكذا بدأت صباح يوم أحد، شمس طالعة وهواؤه وفير، لما كنت أطير طائرتى «النجمة» من شارع عشرة، ولم تكن رائحة الحرب التى سوف تقوم، منتشرة فى الجو، فقد كان صافياً، وطائرتى تقف ساكنة فى الهواء، مقتربة من مواقع النجوم، حتى إننى خفت أن تصطدم بالشمس. وكننت أعمرها يميناً فتميل، وأعمرها شمالاً فتميل، وأتمايل

فرحاً ونيلها يتمايل مع الهواء وجناحها يهفهفان، تركت كل الخيط  
فعلت حتى لامست الشمس، لحظتها، فاجأني خاطر نفذته على الفور،  
بعثت للشمس خطاباً مررته من الخيط حتى وصل الميزان فتمايلت،  
وشممت رائحة الحرب، فقد لمحت طائرة الولد جالون تطير فوق  
سمائي، ولمحتها تقترب من طائرتي، ورأيته يغمزها فتميل نحوي. لم  
يكن أمامي سوى أن ألمم خيطي بأقصى سرعة، وكان هذا مستحيلاً  
لأسباب، منها أن الخيط سوف يلتف على بعضه ويتشابك، ومنها أن  
الخطاب الذي بعثته للشمس فما ردت، كان يعوق حركة اللم لانتفاهه  
حول الميزان، ومنها أيضاً أن الخيط كان مشدوداً جداً فخفت أن ينقطع  
فتقع الطائرة. على هذا الأساس تم اتخاذ قرار سريع وحاسم.

قلت: سوف أقوم بعمل مناورات، قد تفلح وتبعد طائرة الولد جالون  
عن طائرتي.

وقلت: لو اصطاد جالون طائرتي، فسوف أقتله هو وشارع عشرة  
كله.

وبدأت على الفور في المناورة.

أخذ يغمز فيقترب، وأخذت أغمز فأبتعد، وكان العيال قد تنبهوا  
للصراع الدائر بين الطائرتين فوقفوا فوق الأسطح يتفرجون، ولمحت  
عيال شارع عشرة يقفون جنب جالون يهتفون: ارم يا جالون، ارم  
عليه. وهتف عيال شارعنا: حاسب يا جمال. سيب الخيط يا جمال،  
هيصطادك يا چيمي، استمرت المناورة عشر دقائق كان الجميع خلالها  
يهتفون: صيده يا جمال، صيده يا جالون.

مهارتى الشديدة فى المناورة يعرفها العيال، لكنهم يعرفون أيضاً أن  
خيظى ضعيف، وأن طائرتى صغيرة عملتها بعد طفح الدم لما بعث  
كتب المدرسة لحسن العَلاف فى «المسامحة»، وأن طائرتة الولد جالون  
معمولة من «الأزاز»، وأن بها موس حلاقة أسفل الذيل. وكان هذا هو ما  
يخيفنى فى الحقيقة، فلو أن ذيل طائرتة جاء على خيظى، فسوف ينحله  
ويقطعه. وهو ما حدث بالفعل فى المرة الأخيرة، لما خرجت عن مدار  
طائرتة بأعجوبة هتف لها العيال وأخذوا يصفرون ويصفقون، وكنت قد  
تعبت حين أعاد المحاولة فاقتربت طائرتة جداً حتى أصبحت فوق  
طائرتى تماماً، أخذ يغمزها يميناً وشمالاً فيحتك الذيل بالخيظ وينحله،  
اضطربت طائرتى وتشقبت فى الهواء، انقلبت على نفسى ثم عليه، ثم  
إنه بحركة بارعة تعجب لها العيال صادنى فاشتبكت الطائرتان  
ببعضهما، كان علينا أن نلم خيطينا بسرعة رهيبية، كنت أعلم أن نتيجة  
المعركة سوف تحدد الآن، فالأسرع هو الفائز، أخذ يشد، وأنا أشد،  
انقطع خيظى فسحب الطائرتين ناحيته، وعيال شارع عشرة ينطون  
ويضحكون، وعيال شارعنا نزلوا إلى شارعنا وتجمعوا.

فعلت أن المعركة سوف تبدأ الآن

عند نزولى الشارع كانوا واقفين، ولما لمحونى تجمعوا حولى.

قال سعيد فرجانى: لا بد وأن نؤدبهم ولاد الكلب.

وقال شعبان: حرموناً أن نطير طيارة.

وقال محمد: دائماً يصطادون طائراتنا.

وقلت : يجب قتل جالون بأية طريقة .

عند هذا الحد، انفض مجلس الحرب وتفرقنا إلى بيوتنا، لبس كل منا حذئه الكاوتش حتى نعرف نجرى، وأخذ كل منا نبلته المعمولة من جلد الخنازير التي رأيناها في عزية الزبالين، ولما تجمعنا مرة أخرى، أخذنا في لم الزلط الصغير حتى ملأنا جيوبنا .

حانت ساعة الصفر فانطلقنا وقد ساق كل واحد عجلته الكازوز أمامه، وصلنا خرابة شارعنا المؤدية لشارع عشرة، اختبأنا خلف ساتر الزباله وانتظرنا . أطل محمد برأسه القلقاسة وقال : أراهم مجتمعين .

وأطل سعيد وقال : جالون واقف يلم الخيط ويضحك ولا على باله .

وأطل شعبان وقال : يعطونا ظهورهم .

وعندما نظرت، رفعت يدي وقلت : اجمعوا عليهم . أسرعنا بوضع النبل في أصابعنا، وقام كل منا بتعمير نبلته، وبدأنا الحرب، نشنت على قفا جالون وقذفت صرخ جالون، وصرخ العيال وجروا، وقذفنا وجروا لكنهم عادوا يتقدمهم جالون، وحين لمحونا، كان الطوب يتساقط علينا من كل الجهات، وجيوبنا خلت من الزلط، فأمسكنا بعض الطوب الصغير، كانوا أسرع، وكان أسرعهم جالون، اقتربوا وابتعدنا بظهورنا، ولم يكن أمامنا سوى الجرى فجرينا، وتركنا عجلات الكازوز الذي تعبنا في لمة من عند الكاكولا، ومن تحت كراسى المقاهى فى شارع همفريس الكبير، جاءت طوبة فى رأسى محمد وشعبان فصرخا وبكيا،



والدم غمر وجهيهما فحفنا وجرينا أسرع، ونظرت ورائي وأنا أجرى،  
كانوا قد اقتحموا ساتر الزيالة ودخلوا شارعنا وفاجأنى جالون بطوية  
أصابتنى فى قصبه رجلي، بكيت لها على الفور.

عند وصولنا حدودنا، كانوا كفوا عن اللحاق بنا لما رأونا ندخل  
بيوتنا، ثم إننا خرجنا مرة ثانية بعد أن ابتعدوا، ورأينا عجلاتنا الكازوز  
فى أيديهم فأصبنا بالحسرة.

قلت: لا بد من هزيمتهم.

وقلت: لا بد من قتلك يا جالون الكلب، وقتل أم حظ، أمك التى تبيع  
الجاز «الرتل»، بخمس تعريفات وكابون، أيضاً سوف نقتل أباك الذى  
ندخل عنده لنشاهد خيال الظل فيسحرنا ولا نعرف رءوسنا من أرجلنا  
حتى يسرق ما معنا.

قال شعبان: لم نكن مستعدين للحرب.

وقال مصطفى: هزمونا على أرضنا.

قلت: إننا لم نهزم بعد، وإن علينا أن نشن حرباً جديدة نقتل فيها  
شارع عشرة كله، وندمر محلاته المعمولة بالزجاج الملون.

قال محمد: ونسرق فيديو الحاج عبده، بل نسرق كل محلاته.

ولكن كيف يتم ذلك؟

لم يتكلم أحد، وكانت رأس محمد تنز دماً فكبسناها بالطين، وجالست  
أربط رجلي عند القصبه - كانت تؤلمنى.

واحد فى شارع على أبو حمد، لم يتوقع أن حرباً شاملة على وشك الوقوع، وأن معركة أخذ الثأر يعد لها فى الخفاء، فى سرية كاملة، وكانت توقعاتنا كالتالى:

محمد: قد تشتعل الحرب فى أية لحظة، فور انتهائنا من الاستعداد الجيد لها.

مصطفى: أتوقع أن تتحاز بولاق الدكرور لشارع عشرة، خاصة، إذا هاجمنا السوبر ماركت الذى على أول الشارع، كذلك المقاهى التى يجلس عليها العيال، وعلى هذا الأساس يجب وضع بولاق الدكرور فى حسابات الحزب.

شعبان: علينا تقسيم أنفسنا لعصابات، عصابة تهجم عند أول الشارع، وأخرى من المنتصف عند الخرابية، والثالثة من آخر الشارع، وبذلك نسد عليهم جميع منافذ الهروب.

قلت: علينا البحث فى أمر السلاح، يجب شراء أكبر كمية من البمب والصواريخ الصغيرة والكبيرة، كذلك حرب أطلاليا، حتى نشيب ولاد الكلب الجبناء، لما نشوف من الأقوى.

كانت النقود هى ما نحتاجه لشراء أسلحة الحرب، ولم يكن مع أحدنا سوى مصروفه القرشين، اتفقنا على شراء دبلى، وعلى أن نلاعب عيال الحارات المجاورة. بدأنا نلعب الترنجيلة والمثلث، ولأن مهارتنا عالية جداً فقد ربحتنا دبلياً، كثيراً بعناه واشترينا الأسلحة: خمسة بواكى بمب، ٢ باكوا شرائط حرب أطلاليا، عشرين صاروخاً سريع الاشتعال، علب ورنيش فارغة، وعقدنا مجلس الحرب، وتم تحديد ساعة الهجوم فى الساعة مساء

الخميس لحظة يلعبون حاوريني يا طيطا، وعند بدأ مسلسل سنبل حتى  
نضمن خلو الشوارع، ونضمن أيضاً عدم تقديم المساعدة من بولاق.

مرت الدقائق بطيئة قبل بدء العد التنازلي، كانت قلوبنا ترجف من  
لحظة اللقاء، رغم ثقنا من هزيمة الأعداء هزيمة لا يرفعون في وجوهنا  
عيناً بعدها أبداً.

حين وصلنا للرقم صفر، انطلقنا، جيوبنا مليئة بعلب الورنيش  
المعمرة بالبمب وحرب أطاليا، ايدينا تحمل الصواريخ الكبيرة  
والصغيرة، في الجيب العلوي لكل منا مشط كبريت ماركة الهلب، ولم  
ننس أن نردد ما رده «على، بطل رد قلبي، حين قال له «سليمان،  
انت من الضباط الأحرار يا على. لأن على يحب مريم فخر الدين.  
انقسمنا ثلاث فرق، انطلقت كل فرقة لتنفيذ مهمتها. معي مصطفى  
وسعيد فرجاني وشعبان وأبو العلا، كل واحد مثل الشحط، عند وصولنا  
الخرابة، انبطحنا خلف ساتر الزبالة، رأيناهم يلعبون حاوريني يا طيطا،  
انتظرنا حتى وصلت بقية الفرق أماكنها.

الآن نبدأ تنفيذ العملية

صرخت: خذوا يا جبنا، طوحت وطوح العيال علب الورنيش، ثم  
اخبأنا خلف ساتر الزبالة، سمعنا صوت الانفجار عالياً، في اللحظة  
التالية، سمعنا صوت انفجارين وصوت صراخ، أخذنا في إشعال فتيل  
الصواريخ وطوحتنا بها، أضاء الضوء الناتج عن الانفجارات الشارع،  
رأيناهم يجرون في فزع شديد، خرجنا من خلف الساتر، أشعلنا شرائط  
حرب أطاليا وجرينا خلف الأعداء رميناها عليهم وجرينا، كانوا هم  
أيضاً يجرون، وسمعنا صراخاً عالياً وأصوات بكاء، وساد الظلام. فرغ

ما معنا من أسلحة فبدأنا نتراجع نحو الخرابة، رأيته يجرى تجاهي فعرفته، جالون زعيم العصابة، جريت وجرى ورائي، أخذني مقص رجل فوقعت على وجهي ووقع فوقى، ضربني أسفل رأسى بسيف يده، استدرت له فضربني على عيني بقبضة يده، كانت ضربه شديدة فصرخت، ظل يكمنى وكنت أعيط من شدة الألم، فإن يده مثل المرزبة. وعندما قام من فوقى، كانت رأسى تنزف، وعيني اليمين مزغلة، أما عيني الشمال، فما عدت أرى بها فأغلقتها، ثم إنه المفترى، ضربني بالشلوت وأنا أهم بالجرى وصرخ ورائي: عاملين شطار وشجعان يا ولاد الكلب. التفوا حول محمد ومصطفى وشعبان وبقية الفرقة وعدموهم العافية، وكانوا يصرخون من شدة الضرب، لكنهم وقفوا وجرؤوا ناحية شارعنا، جرينا بأقصى سرعة وجرؤوا ورائنا، فاجأتنى طوبة فى ظهرى فانقطع نفسى لحظتها إلى أن انفجرت باكياً، بكى محمد وهو يعرج، وكان مصطفى يمسك رأسه، أما شعبان فكان يصرخ: كسروا ذراعى. وسمعنا صوتهم ورائنا: إياك نشوف واحد منكم هنا يا ابن المرة منك له. ولما وصلنا حدودنا، جلسنا على أرض الشارع، وبكىنا.

فى الصباح، نزلنا الشارع، وفى أجسامنا وعلى وجوهنا آثار المعركة، عقدنا مجلس الحرب، بحثنا فى كيفية شن هجوم سريع وحاسم يكون المعركة الفاصلة، نرد فيها على الفضيحة التى حدثت بالأمس وأصبحنا بسببها معيرة كل الحارات.

وكالعادة، أخذنا فى اعتبارنا جميع التوقعات المحتملة بالنسبة للحرب، ثم أقمنا نشيد النصر، وبدأنا نعد أسلحة جديدة للمعركة.

\*\*\*



فى لحظة واحدة كانت المعركة قد بدأت، ولم يكن هناك فرصة واحدة للتراجع، ولا بد لنا من هزيمة الأعداء شر هزيمة، وإلا أعدمونا العافية ولا نستطيع رفع أعيننا فى وجوه الأبالسة مرة أخرى.

أصل الحكاية أن سعيد فرجانى - تعرفونه طبعاً - لأنه سوف يهدد أباه بالانتحار فيما بعد، ويموت هو وأمه فى ليلة مفترجة، وذلك لأنه رآه يعاكس البنات توحه، وابكى عليه كثيراً لأنه صاحبى الذى مات كافراً.

قال لى وكنا فى المسامحة: تيجى تشتغل معايا، وبالأنص. فأحضرنا عدة الشغل وهى شنطة ملآنة بأنابيت البوتاجاز الصغيرة، حملتها فوق

كفتى ومشينا حتى وصلنا سور وزارة الزراعة لأن أباه يعمل هناك، وعلى السور، رصصنا عدة الشغل وكتبنا: جمال وسعيد القرص - ملو وتصليح جميع أنواع الولاغات. ثم إننا جلسنا، أنا من ناحية، وهو من ناحية على السور، وأشار بيده إلى الوزارة: أبويا هنا هو الكل فى الكل، دا هو المدير. سوف أرى أباسعيد بعد حين، جالساً على كرسى بجانب باب إحدى الحجرات.

قلت : ياه، المدير. قال: آه، والله. وبينما نحن كذلك، إذ جاء الولد سامبو ابن البرابرة ليملاً ولاعته، ففرحنا لذلك، وكنت قد أحضرت معى كيساً كبيراً من القماش الديمور لنضع فيه الغلة كما يقول سعيد: فأنا ابن سوق وفاهم المسائل أكثر منك. مد الولد سامبو يده بخمسة قروش فضة أخذتها وقبلتها ووضعها على جيبينى ثم وضعتها فى الكيس فاخفتت. ثم إننى عقدت عليها عقدة وشنيطة، وكانت الدنيا أظلمت حين قال لى سعيد: عملنا بكام النهاردة، دانهارك أرزق باين عليه. مددت يدى إلى جيبى أخرجت كيس الفلوس لأعدها ونتحاسب أنا وشريكى، ولم يكن هناك سوى قروش الولد سامبو الخمس، أخذها سعيد منى وهو ينظر لى نظرة غيظ وشر وجرى ورائى: والنبي باين عليك وشك فقر مدوحس. ثم إنه جرى إلى مقلة اللب فكها وأعطانى خمس تعريفات وقال: والنبي خسارة فيك، جبت لى النحس، منك لله. فاشتريت بقرشين لب من غيظى وركبت بالباقي.

فى اليوم التالى فرجلنا أنا وشريكى بالولد سامبو جاء لملء ولاعته، وجلس بجانب سعيد على السور، وتحدثنا لمدة ساعة، ثم انصرف بعد أن أعطانى خمسة صاغ وضعتها فى الكيس.

هكذا بدأت المعركة.

هى بدأت فى اليوم الأول لرؤيتنا للولد سامبو، لأن ما حدث بعد ذلك يدل على هذا - صلوا على النبى:

الولد سامبو فوجئنا به ذات يوم فى حارتنا، وقال لنا: أَلعب معكم .

فرحب به شريكى سعيد لأنه تصاحب عليه جداً، وبدأنا نلعب: كلوا بامية .. القطة العامية .. سرقت قميصى .. الإنجليزى .. يا نرجس . ووقع الدور على الولد سامبو، وانضمت إلينا كل الشلة، وكان يمسكنا كلنا، تضايقتنا جداً، ماذا نفعل؟ هل نقول له: لا تلعب معنا يا سامبو! عيب . ثم إنه غريب وليس له أصدقاء سوانا، ويجب علينا احترامه . المهم، قلنا نتحمل رذالة الولد سامبو ونشوف، يمكن يحس على دمه ويلم نفسه فى أيامه السوداء هذه، ولكن حدث بعد ذلك ما جعلنا نقرر إعلان الحرب عليه وعلى البرابرة كلهم، ناسه .

. مرّ اليوم وراء اليوم، ونحن نذهب إلى عملنا، أنا وشريكى سعيد، أنا أُلعب الشنطة على رقبتى حتى أنها اتلوتت، وسعيد يجلس فوق سور وزارة الزراعة يهز ساقيه طوال النهار، ولا نأخذ سوى المشوار الذى يشبه شغل أم قويق - كما نقول أمى، ونقول أيضاً: ياما جاب الغراب لأمه . حتى سامبو هذا لم يعد يأتى، وكان من الطبيعى طبعاً أن أرمى لشريكى شنطته التى مزقت رقبتى فى الشارع وكنا ذاهبين للعمل فى يوم لا ينفع إلا للنوم ولعب البلى، فرجع هو أيضاً، فوجئنا بالولد سامبو فى شارعنا، فرح سعيد به، ولكنى لم أفرح، وبان الغدر فى عيني وعينه، ونظر إلى من تحت لتحت بنصف عين، فنظرت إليه أنا أيضاً

الشهادة لله، خفت، سامبو مثل فحل الجاموس السائب، وأنا لا أصل لركبته. ويده ما شاء الله مثل المرزية. لم نفسك يا ولد يا جمال، لوخبطك كف تموت فيها. المهم، طلعت بيتنا وكأني لم أراه، قالت أمي: أجازة النهاردة والللايه. وعوجت فمها جهة اليمين قليلاً ثم تركته معوجاً وإلى اليسار وهزت رأسها للناحيتين. أجازة على طول ياختي. قلتها وخرجت وليس في نيتي شيء، نزلت الشارع، ناديت على العيال فتجمعوا، قلت: نلعب كلوا بامية. مد العيال أيديهم وفردوا أصابعهم وزعقت بالحس العالي: كلوا بامية. حين تكلم سامبو: اقول لكم على لعبة أحسن. أنزلت العيال أيديها، ووقفت واضعاً ذراعي في وسطى فاتحاً رجلى في تحدّ ظاهر للعيال فتجمعوا، ورأيته ينظر إلى بكهن فظطرت إليه أنا أيضاً بكهن، فهو ليس أجدع منى ابن البرابرة هذا. نلعب جينيتير وى. قالها وسكت، نظر إليه العيال وقد تعجبوا من ذكر ذلك، لعبة سهلة. قال سامبو: نقول في نفس واحد جينيتير وى ونلف اذرعنا مثل الساقية ويقلب كل واحد كفه، هي نفسها كلوا بامية ولكن على أحسن. قلت: أنا مش لاعب للعبة دي، مين يلعب معايا كلوا بامية.

هتف العيال: نلعب كلنا جينيتير وى.

التف العيال حول الولد سامبو، ووقفت وحدى وأنا ملآن بالغيظ، نلعب جينيتير وى، ياولاد الكلب. وكلوا بامية عليها كخ دلوقت، طيب لما نشوف. نسى الولد سامبو نفسه في اللعب حين شتمته وأهله وناسه، من غيظي والله، ولم ينتبه إلا حين قذفته بحجر أصابه في مشط رجله،



وكانت النتيجة أنه جرى خلفي، ومد رجله أمامي، فوقعت على وجهي ولطشني على عيني فانتفخت من وقتها وساعتها، ولم أعد أرى بها، وعيال حارتنا يتفرجون علينا ولم يفكر أحدهم في أن يحوشه عنى ويرفعه من فوقى - الخونة.

وكانت هذه هي بداية معركتى الحقيقية مع البرابرة كلهم.

أما ما كان من عيال حارتنا، فإنهم صاروا يلعبون مع سامبو كل يوم لعبة جينيتروى، وصرت أنا لا ألعب معهم، وفى نفس الوقت أدير خطة أنتصر بها على عدوى، ويكون هلاك سامبو والبرابرة على يدى بعون الله. وبينما هم ذات يوم يلعبون، إذ أحس العيال أن الولد سامبو يعاملهم معاملة الكلاب، وصار هو المتحكم فيهم، وأول من أحس ذلك، كان سعيد فرجاني، فتشاجر معه، ولم يعد يلاعبه وقد انضم إلى جانبي وأصبح يلاعبني وألاعبه، وقد أخذت شلتنا تزيد وتتسع، وشلة الولد سامبو تضيق، وصرنا ندبر الخطط لهلاكه، فحارتنا لم تعد حارتنا على يديه وأيدى الزناجرة ناسه، فقد جاءوا هم أيضاً للعب معه فى حارتنا، والعجيب أنه طرد كل من كانوا يلعبون معه منا، وأصبح معروفاً أن شلة الزناجرة وصلت، وأنها سوف تلعب الآن جينيتروى، وأن علينا أن نقف بعيداً نتفرج أو نلتهم فى بيوتنا بدلاً من البهدلة والفضائح والجرسة التى أقسم عليها سامبو ذات يوم حين قال لنا: وأيمان المسلمين، إذا كل واحد ما حطش لسانه فى بقه، لأجرسه فى بولاق الذكورور كلها، وأفرج عليه أمة ما خلق. من يومها ونحن نخاف الجرسة، إلى أن جاء اليوم الذى ننتظره. وبينما نحن نتفرج عليهم وهم يلعبون، وكنا نحن شلة

كبيرة وهم قلة، إذ قلت يجب أن نلعب كلوا بامية، وإن هذا لا بد منه الآن. وقلت أيضاً: على الخائف أن يبتعد، وكنت أعلم أن المعركة على وشك، ولكنى لم أعد خائفاً وأنا المشهور بالولد الجنى، تركى العيال وجروا لما أحسوا بالخطر، ولم يبق معى سوى سعيد فرجانى شريكى القديم، اقتربنا من الأعداء جداً، وكانوا شلة كبيرة، فردت يدى وفرد سعيد يده وكانت ترتعش وقلنا فى نفس واحد: كلوا بامية. قلتها وصمت، وارتفعت يدى إلى عيني وصرخت، فقد فاجأتنى طوبة جعلت الدنيا ظلاماً فى ظلام، وما عدت أرى حتى سعيد الذى جرى له مالا يسر عدواً ولا حبيباً. وسعيد هذا، سوف يكون هلاك سامبو والزناجرة على يديه بالقدرة قبل أن يموت منتحراً. وهو كلام إذا وصلنا إليه نحكى عليه.

أرجع إلى السياق فأقول إننى بعد أن فاجأتنى الطوبة فى عيني، ولم أعد أرى شيئاً، ولا أنا مدركاً لما حولى، ودارت الدنيا بى، ولم أميز سماء من أرض، ومن شدة الوجد لطمت على وجهى لطمتين وصرخت: عيني راحت يا كفرة. ومشت بى قدماى إلى البيت وأنا أجرهما جراً وعند دخولى البيت، كنت أصرخ وأعيط وأشد شعر رأسى من شدة الغيظ، وأضع يدى اليمين على عيني اليمين من شدة الوجد والنقح. بحثت عن طماطم فوجدت واحدة كانت أمى تخبئها للطبخ، فتحتها وكبستها على عيني فشعرت بالراحة. ثم إننى جلست أحسب حساب مداخل ومخارج حارتنا، وأدبر الخطط التى أقتل بها سامبو وعائلته كلها. قلت: الصباح رياح، وبأنا يا أنت يا سامبو.

فى الصبأء؁ قمت من نومي على صوت العيال فى الحارة؁ غسلت  
وجهى وعينى كانت مقفولة ففتحتها بيدي ومسحت العماص من فوقها؁  
نزلت الحارة وفى جيب البيجامة وضعت موس حلاقة جديد؁ وجدت  
حارتنا نمتلىء بالبرابرة وسامبو يقف فى وسطهم؁ لمحت سعيد شريكى  
يتحدث مع سامبو وحول رأسه لفة شاش كبيرة؁ وذراعه اليمين  
مربوطة فى رقبته؁ أما عينه الشمال فكانت منفخة؁ وعيال حارتنا  
جميعاً يقفون حول سامبو؁ وكان هو يرتب العيال ورأى فأخرج لى  
لسانه؁ وبدأ يلعب حاجبيه من تحت لتحت؁ وكنت أجلس على عتبة  
بيتنا؁ حين بدأ سامبو يجرى رافعاً رجليه؁ والعيال تجرى وراءه؁ هو  
يغنى وهم يردون عليه:

يا رجل البنطلون خشى واطلعى

تلاتة فى البدرن يا صفرة فرقى.

\*\*\*





لو رأى أحدكم ما رأيت لصدق ما أقول، بعيني هاتين رأيت أحدهم فكدت أفارق من شدة ما رأيت. اسمعوا، أحكى من البداية، صلوا على النبي: الحرب كانت قائمة بيننا وبين بلاد نعمنم، وفي بولاق الدكرور، وبالتحديد فى شارع همفرس، تقع أعلى عمارة، ذات صباح قام رجال الدفاع الشعبى بتركيب صفارة إنذار كبيرة، إذا انطلق صوتها أربع البلاد كلها واختفينا فى غمضة عين، تم حفر خنادق لولبية إذا دخلها الإنسان لا تعرف له طريق جرة، ورأينا رجال الدفاع الشعبى يقومون بأول تجربة عملية لمقاومة الأعداء. تجمعا كلنا أمام شارع عشرة الذى تمت فيه التجربة، أخذوا يصعدون العمارة فرداً فرداً، ربطوا حبلاً أعلى العمارة وأسقطوه فى الشارع، حين انطلقت صفارة الإنذار، رأيناهم

ينزلون على الحبل واحداً فواحداً، ونطق الميكروفون : برافو عبدالقوى،  
ها هو ذا ينزل فى سهولة ويسر، أحسنت يا محروس، شبك قدميك فى  
الحبل جيداً ولا تنظر تحتك. ووقعت خوزة أحدهم الحديدية على أحد  
المشاهدين فمات من وقته وساعته.

جاءت التجربة الثانية فكانت أشد خطراً، وسمعنا فى الميكروفون:

يا أهالى بولاق الدكرور، ماذا لو جاء أعداؤنا من بلاد نعمم وقاموا  
بإشعال الحرائق؟ رد صادق العلاف فى صوت لم يسمعه أحد: نبقى  
مش رجالة وحلال فينا الحرق بجاز. رأينا خرطوماً أبيض غليظاً طويلاً  
جداً ممدوداً بطول الشارع، أشعلوا النار فى كومة الأقفاص والقش فبان  
النار قوية متوهجة كنار الأعداء، انطلقت صفارة الإنذار، رجال الدفاع  
الشعبى وقفوا صفاً واحداً بطول شريط الخرطوم، انحنا عليه فجأة لما  
انطلقت الصفارة، أمسكوا بالخرطوم ووجهوا رأسه للحريق، انتفض  
الخرطوم وانتفخ، فانتفضت معه الرجال ووقع البعض وحدث هرج  
ومرج غرقت معه المحلات والبيوت، وكانت النار أكلت الاقفاص  
والقش، وانطلق صوت الميكروفون: برافو يا ولاد، تجربة ناجحة.

رأيناهم يستعدون للحرب، وصوت الميكروفون أبو هورن كبير يلطم فحس  
بأن الحرب آتية ولا بد من المواجهة، وأننا قد نلمح أحدهم فى أية لحظة، فمانا  
نفعل؟ وكيف نتصرف؟ خاصة وهم يأكلون لحوم البشر امثالنا، وأشكالهم  
مخيفة، فهل نتحمل نحن رؤية رجل بذيل طويل يأكل لحم عدوه حياً؟

هذا ما حدث بالفعل

حين سمعنا ذات صباح بالخبر: طائرة الأعداء الآتية من بلاد نعمم،  
وقعت فى بولاق الدكرور، بالتحديد، فى جنيئة الخواجة همفرس،

انطلقنا لحظة سماع الخبر، وفي أيدينا كل أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة، حملت معي مسطرين أبي، وحمل أخى الكوريك، ورأيت غطيان الحلال والشوك والسكاكين في الأيدي، الكل يجرى ناحية الجنينة لرؤية الآتى من بلاد نمم، الرعب داخل الصدور من لقاء ابن نمم أبو ذيل آكل لحوم البشر، لما اقتربنا المحنا شيئاً مطلقاً فى شجر الخواجة همفرس، اقتربنا أكثر ورفع كل واحد سلاحه، ها هو ذا ابن نمم، أحد أعدائنا مدلل فى حالة تسرنا وتسوءه، تشده خيوط كثيرة إلى الشجرة، يرفس بقدميه هواء بلدنا، الجبان، بجانبه، يرقد حطام الطائرة وقد عدمت العافية، التفقنا حوله فكنا دائرة كبيرة كانت تضيق وتقترب من العدو، ولمحنا الخواجة همفرس يقف أعلى قصره ويشير بيده إلينا: ابتعدوا يا غجر عن الجنينة. لكننا اقتربنا حتى أصبحنا تحت عدونا تماماً، نظرنا جميعاً إليه، أين ذيله؟ قلنا أخفاه فى ملابسه فمزقناها ولم نر شيئاً، وقعنا فى بليلة، لا بد أن يكون عدونا بذيل، فأين هو إذن؟

سمعنا صوت الميكروفون: الدفاع الشعبى يناشدكم ضبط النفس، ابتعدوا عن الهدف بهدوء. كانت الناس تبتعد، حين صرخت: أنا رأيت ذيل ابن نمم. لم يسمعنى أحد، كانت الناس تقترب من قصر الخواجة همفرس، أصبحوا تحته تماماً أشار لهم بالابتعاد فاقربوا أكثر، صرخوا فى نفس واحد: انظروا، ها هو ذيله، ابتعدوا يا غجر. لكننا اقتربنا، ثم إننا دخلنا قصر الخواجة همفرس.

\*\*\*







تجمعنا نحن عيال الحارة، فعملنا جيشاً كبيراً يهزم الأعداء.

وكانت الحرب في بدايتها، كنا نسأل: هل انتصرنا؟ فلا يرد علينا أحد، والجميع يهتفون: ها نحارب، اسرائيل الأرانب. فنفرح لذلك ونصفق بأيينا ونتجمع في بدايات الليل جيشاً قوياً يهزم الأعداء، نلف على البيوت وننادى بالصوت العالى: طفى النور يا ولية. إحنا عساكر دورية.. طفى النور يا مراتى.. دا حنا عساكر ظباطى. فيطفنون النور، ويطلون زجاج النوافذ بالزهرة الزرقاء خوفاً من غارات الأعداء، ويأخذ أخى فأسه فى يده ويذهب يقف على الكوبرى يحرس أول بولاتى الدكرور.

سمعنا نداء أبى فتجمعنا والدنيا عتمة كحل، أخذنا نلتف حوله فى حجرتنا الضيقة، همس: أقول لكم على سر فلا تفضحونى وإلا أعدمونى. بانث عيوننا فى الظلام وكانت تلمع، أمسكت بيد أذى الكبير خوفاً من السر، ركع أبى على ركبتيه، خبط بكف يده على أرض الحجره مرتين: هنا دفنت السر من أربعين سنة، وهذا أوان خروجه، فالاعداء قادمون، ونحن نحتاجه الآن. أشار لأمى فأزاحت حصير الأرض، أخذت تكوره حتى لمته كله، أخذ أبى فأس أذى التى يحرس بها أول بولاق، وضع اصبعه على فمه وقال: هس. حتى سرنا

فسكتنا جميعاً وسمعنا صوت أنفاسنا، بحذر شديد أخذ يدق أرض حجرتنا بالفأس دقاً خفيفاً حتى تكسر الأسمنت، أشار لأذى هامساً: احفر هنا. بهدوء ركع أذى على ركبة ونصف ومد يده وأخذ يحفر بأصابعه، وأبى يتصنت على خطوات الناس ويشير لأذى قف، استمر. حتى قال له يكفى. كانت الحفرة عميقة فاقترب أبى منها وركع ومد يده. وقلت لأمى: أنا خايف ياختى. فقالت هس. لكنى لم أهس وأمسكت يدها وبكيت. كانت يد أمى ترتعش فسكت، أخرج أبى يده من الحفرة ولم نر شيئاً من شدة الظلام. وقال: ها هو ذا السر الذى أخفيته عن العالمين أربعين سنة ويزيد. ولكننا لا نرى سرى يا أبى. أمر أمى بإشعال شمعة فرأينا فى يده خرقة ممزقة ملفوفة كذا لفة، أخذ يفكها بحذر شديد خالص ونحن ننظر إليه فى خوف، وقلت سوف يخرج من الخرقة ثعبان يسمى الشجاع الأقرع، أعرفه ويعرفنى، ورأيته ذات يوم يخرج من عصا الحاوى، وحتى لا يطلع ويأكلنى وقفت وراء أمى، انتهى أبى

من فك الخرقة وقال: السر أمامكم الآن، فلا بد من ظهوره مهما طال  
الزمان. رأينا جراباً كبيراً من الحديد الصدئ، أخذ يسحب الجراب سحباً  
بطيئاً حتى خلعه، رفع يده فبان خنجر صغير، قال أبى: سرقتَه من  
عسكرى إنجليزى أيام الاحتلال بعد أن قتلتَه، وظلوا يبحثون عنى إلى  
الآن، يحتاج لمسح ويرجع كما كان. أمسك الخرقة فى يده، وفى فرج  
مسح مسحة واحدة، ورأينا يد أبى مليئة بقطع الحديد الصغيرة الصدئة.  
ونظر إلينا أبى فى ذهول وهو يفرغ يده فى الخرقة ويلفها كذا لفة،  
وضعها فى الحفرة، وفى صمت أشار لأخى فردمها، أشار لأمى ففردت  
حصير الأرض، وبينما نحن واقفين لا نتكلم، وبينما أمى تشوح بيديها  
وتعوج فمها يمينا ويساراً اذ رأينا أبى يتكوم فى ركن، ويضع رأسه بين  
ركبتيه، ويعيط.

\*\*\*





هل أتاك حديث المصيبة التي وقعت علينا يوم ذهبنا كي نرى على  
جمبرى وننادى عليه بالصوت العالى: على جمبرى دور سبع مرات،  
فكاد يمسكنا البسطويسى حارس جنينة الخواجا همفرس ويعدمنا العافية،  
فدعونا عليه فمات من وقته وساعته.

وإذا أسمعك هذا الحديث فاستمع له وأنصت لعلك تبلغ ما لم نبلغه  
نحن الثمانية، أولاد الحارة الواحدة، وقد جرى على قلوبنا ما لم يجز  
على قلب بشر من قبل.

وهذه بداية الحديث فافهم. كانت الحرب فى بدايتها ولحظة اتخذنا  
قرارنا بزيارة على جمبرى، كنا قد سمعنا من أولاد الحارات المجاورة،

وقرأنا عنه في الكتب الصفراء التي نشترها من عم زكى على الكوبرى الخشب، وعم زكى هذا، له قصة عجيبة، أمور مطربة غريبة. نحب أن نسوقها إليك يا مستمع - فاستمع: لما نذهب إليه، يكون جالساً فوق الكوبرى الخشب، فارشاً حوله أبو زيد الهلالى وحمزة العرب وأرسين لوبين، فنرمى عليه السلام فيرد علينا بقرف، ولما كان يعرف أن جيوبنا خاوية، وأن ساعة مجيئنا إليه تكون ساعة نحس، فينصرف عنا بالنظر إلى ترعة المجنونة. نلتف حوله ونحن ننظر إلى الكتب ونقلب فيها، إلى أن يبدأ هو:

لِمَ تَقْفون هكذا؟ فرقعوا من وشى.

فترد عليه:

جئنا لنراك يا عم زكى.

فتضحك أسنانه الصفراء ويقول:

اجلسوا يا شياطين الإنس.

فنجلس، ونظل نتودد له فيقول ونرد وراءه:

آن.. دى.. ترواه.. كاتر.. حتى إذا ما انتهينا من عد عشرة بالتمام والكمال، يبدأ بالسؤال عما نريده، فنأخذ منه الكتب على أن نردها فى أقرب وقت، ثم إنه لا يتركنا قبل ان يحكى كيف دوخ الإنجليز، وكيف أنه كان مديراً لشركة كبيرة، لكنه طرد ظلماً، عندها نأخذ الكتب ونجرى الى بيوتنا نقرأها، ونتبادل أرسين لوبين بأبى زيد الهلالى.

نرجع إلى سياق الحديث فانتبه .

قررنا زيارة على جمبرى نحن الثمانية، وترتيبنا على التوالى: زنا وأختى حنان، محمد عبد الواحد وأخته هناء، درش وأخته فاطمة، نعيمة وأختها توحة، اتخذنا التدابير اللازمة لمثل هذا الموضوع الخطير، والذي أصبحنا نحلم به .

قلت: سوف زنادى على الواحد منكم باسم غير الاسم، حتى لا يعلم أحد إلى أين نحن ذاهبون .

قال محمد عبد الواحد الذى سوف يموت بعد حين، لما يذهب إلى مدرسة التجارة فتدروسة العربية كارتر، ويعدم شبابه، وهو حديث شرحه يطول وليس هذا مقامه سمعت أنه عفريت كبير، وأن الخواجا همفرس رصده بخاتم الملك سليمان حتى إذا ما اقترب أحد من الجنية أحرقه فى الحال .

قلت: سمعت هذا الحديث من قبل، وقد عملت اللازم، ثم إننى هززت رأسى وضحكت: زنتم لازلتم عيالاً يا عيال، على أية حال، لا تخافوا، فسوف أحميكم من هذا العفريت . أخرجت من جيب البيجامة ورقة على هيئة مثلث فردتها وجلست، جلس العيال من حولى على الأرض .

قلت: ذهبت أمس إلى عمى زكى بائع الكتب، حكيت له على الموضوع فوعدنى خيراً، وما كان منه إلا أن أخرج قلمه الأحمر، ورورقه الصفراء، وعمل هذا الحجاب، فإن حامله لا يهاب إنشأ ولا جناً .

هذا حجاب جليل القدر عظيم الشأن وهو أمان من كل بلية، ومن  
على جمبرى الذى هو من شياطين الجان، وفيه قضاء  
للحاجات والمحتاجات والمحبة والقبول، وفيه شفاء من  
الأمراض المستعصية على شياطين الأطباء  
والحكماء من كل صنف ولون، بحق قدرة  
النون والقلم وما يسزون اقضى حاجة  
حاملع جمال بن عبدالجواد الذى  
يهمنى أمره يا على يا جمبرى.  
تعجب العيال وقالوا: هل  
يصرف هذا الكلام  
العفريت الذى  
هو على  
جمبرى.

ضحكت وقلت: نعم يصرفه، بل انه يحرقه اذا قلت له اسرع  
بالرحيل بحق المساء والصباح، أيها العجل النطاح.

اطمأنوا وقالوا سوف نفعلم ما لم تفعله عيال بولاق الدكورور كلها،  
حتى الولد الشحط قنطر ابن أبو فتحي السمسار.

قبل أن ننصرف قلت: لا تنسوا موعدنا اليوم عصراً، عند طابق  
الديابة، وكلمة السر «على يا ويكا، حتى لا يشعر بنا على جمبرى إذا ما  
نطقنا اسمه كاملاً.

قلت لأختي: كونى مستعدة للذهاب لحظة أنادى عليك «على يا  
ويكا، ثم دخلت تحت السرير فسرقت رغيفين من مشنة العيش،



فتحتهما ودهنتهما «بالمرّة»، وخبأتها في جيب البيجامة، أخذت الحجاب، وضعتة في جيبي العلوى بالقرب من صدرى كما قال عم زكى، لبست الكاوتش في قدمى وخرجت، وقفت على السلم، زعقت: على يا ويكا. جاءت أختى تجرى، وأخذت أزق في بيوت شارعنا: على ياويكا، فتطلع العيال. وصلت أنا وأختى عند طابق الديابة، وهذا الطابق مسكون بالجن والعمفاريات التى طلعت بعد أن قتل عزيز بائع الكتاكيت هو وإخوته الثلاثة وأبوهم، ورأهم الناس فى الطابق مثل البالونات المنتفخة. لم يكن أحد من العيال قد جاء فلعبت أنا وأختى نطة الإنجليز حتى جاء درش وأخته يجريان ناحيتنا، ثم جاء بعدهما محمد عبدالواحد وأخته، ولم يبق سوى نعيمة وأختها توحة.

قلت: تأخرنا، ولن ننتظر نعيمة وتوحة.

وكانت الشمس حمراء فخفت أن تظلم الدنيا قبل أن نرى على جمبرى. عند تحركنا ناحية جنينة الخواجا همفرس، لمحتها تجريان ناحيتنا مثل أبو فصاد الذى يصطاده محمد عبدالواحد من شارع عشرة. وصلنا عند باب الجنينة كان مقفلاً، فوقفنا .

قال محمد عبدالواحد ودرش: ننط من فوق الباب الحديد.

قلت: من منا ينط الأول.

قال محمد: أنت.

قلت: ما تنط أنت الأول يا ناصح.

لم يوافق واحد على أن ينط هو الأول، ففردنا أيدينا وهمسنا فى نفس

واحد:

كلوا يامية .

قلبنا أيدينا جميعاً على الظهر، فأعدنا المحاولة:

القطعة العامية .

قلبت يدي، وقلب درش يده، ولم يتحرك محمد عبدالواحد. قلت هذه آخر مرة .

سرفت قميصي .

وقع الدور على درش فتقدم من الباب الحديدي، ووقفت أخته ونادت عليه ارجع يا درش، لكنه تقدم، وكان خائفاً فطلع أول حديدتين وثلى رجليه وشب على يديه، ثم إنه رفع رجله اليمين فخطى للناحية الأخرى . وهو ينزل، كانت قلوبنا تدق، وجاء الدور على محمد فاستعد . كان درش قد ابتعد عن الباب ومشى فى الجنينة، سمعنا صوت نباح، ورأينا درش يجرى ناحية الباب وهو مسرور يصرخ ويعيط، ووراءه يجرى كلبان طوال عراض مثل الكلب هول الذى رأيناه فى التليفزيون .  
بكت فاطمة وصرخت: درش .

أخرجت من جيب البيجامة رغيف المرثة، قطعت منه ورميت، جرى الكلبان على اللقم وتركا درش، صعد محمد عبدالواحد وقفز داخل الجنينة، قطعت ورميت فجرى الكلبان، حين سعدت نعيمة وأختها تروحة، كنت انتهيت من الرغيف الأول، وبدأت فى إخراج الثانى حين نبحا، رميت نفسى داخل الجنينة، أتى الكلبان ناحيتى وزاما وهزا

ذيلهما، كنت أنتهى من الرغيف الثانى لما جريا ناحية رجلي، بكيت  
وصرخت: الحقونى . لكنهما سارا بجانبى يتمسحان بى فضحكت ثم  
أننى مسحت على رأسيهما بكفى فنظرا إلى وضحكا. أخذنا نمشى فى  
الجنينة التى قال عنها الولد رضا ابن البرابرة أنه ما دخلها أحد قط  
وفلح، وقال أيضاً : هل تعرفون حكاية خالى سيد العبيط، كان أنصح  
من أبيكم، وقد دخلها ذات يوم فجرى له ما جرى وانعقد لسانه بقدرة  
على جمبرى.

ورأينا الفاكهة من كل صنف ولون

قلت: لو الواحد يجد تفاحة بطول بيتنا فأخذها معى أضعها على السطح  
وأجلس فوقها أقطع وأكل ولا تنتهى أبداً. أمى تشتري لنا تفاحاً صغيراً  
جداً مثل «البلى»، كذا العنب الفرط من أم صابر الجالسة على ناصية  
الحارة تبيع الحرنكش ورعوس الخس.

أخذ العيال يرمون الشجرة بالحجارة ويلتقطون ما يقع على الأرض  
يعبلونه فى جيوبهم.

قلت: لن آخذ شيئاًحتى أرى الجنينة كلها وأرجع آخذ ما يكفينى  
وأمى وأخوتى - كذلك أبى . بعدت عن العيال فأصبحت وحدى، ولمحت  
شجرة كبيرة جداً فرعها فى السماء، رأيت تفاحة معلقة من رأسها،  
تفاحة واحدة حمراء، ياه، يا دين النبى كانت التفاحة كبيرة جداً، أكبر  
من بيتنا، عند رجوعنا أحملها أنا والعيال، لن أستطيع حملها وحدى،  
وقد يساعدى الحجاب فى حملها.

اقتربت من العيال، وكنا نبحث عن علي جمبرى، لكننا لم نجده.

قلت : أنا متأكد يا عيال من وجوده هنا.

وكانت الشمس تغيب عنا، ولم نحس بها تختفى فرأينا الدنيا كحلاً.  
خاف درش وقال: يا عم الدنيا كحل وأنا خائف.

انكمشت أخته فاطمة وقالت أنا خائفة، كذا قال العيال، ولم أكن  
خائفاً لأن معى حجابى، فهو يحمينى من زلزلة على جمبرى. لحظتها،  
تحسست جيبي فلم أجد، ارتعبت واصفر وشى، نظر إلى العيال، قال  
محمد عبدالواحد:

مالك !؟

لا أجد الحجاب فى جيبي.

قال درش : يمكن وقع منك وأنت تنط.

قلت : أنا خائف، لو أحس على جمبرى بنا الآن، سوف يأكلنا، وقد  
أصبح أنا الذى تحديته، مثل سيد العبيط أو حمبوسة.

أمسك كل منا بيد الآخر ونحن نرتعش، سمعنا نباح الكلاب وكانت  
تتجه ناحيتنا وصوت يشخط : من هناك.

صرخت توحة وصرخت محاسن، وبكى درش وانكمشنا فى بعضنا.

سمعنا صوت أقدام كثيرة تجرى وأصوات :

امسك حرامى، حلق يا جدع، امسك ولاد الهرمة.

جرينا ناحية الباب بأقصى سرعة، وقعت ولحقت نفسى فقامت مسرعاً أمسكنا بالباب وأخذنا نلظ فنرتمى فى الناحية الأخرى خارج الجنينة الملعونة، نط جميع العيال، وكانوا يقفون خارج الجنينة، وكنت أنط حين أمسكت قدمى يد فصرخت، صرخ العيال، رفعت رجلي فلم أستطع، وكانت اليد تجذبى لأسفل بقوة، لكنى رفعتها مرة أخرى فانخلع الكاوتش من قدمى فوقعت خارج الجنينة، سمعت طقة رجلي فبكيت.

لما قامت، لم أجد أحداً فى الشارع، ثم اننى مشيت أعرج ناحية بيننا، وتذكرت التفاحة التى بطول بينا، فبكيت.

\* \* \*





كنا فى زمن الحرب

ولو يعلم أبى عند اجتماعه بنا على الطبلية أننى سوف أقتلها، ما كان تركنى. ولو أنه نظر فى عيني فى تلك اللحظة، ما كان رأى شيئاً.

حدثنى أبى كثيراً عنها، وحدث جدى أبى، وحدثت جدتى جدى. قالوا جميعاً أن بأحسانها مفتاحين، أحدهما للجنة، والآخر للنار، ولم اكن رأيت الجنة، وكنت قد صممت على أخذ مفتاح الجنة من أحسانها. لم أكل كثيراً، نظر إلى أبى فى لوم حتى أكمل طعامى، زجرتنى أمى لأنى اصبحت مسلولاً مثل خيال المائة من قلة الأكل، كان كل تفكيرى فى هذه اللحظة فى كيفية اصطياذ واحدة، كنت أعلم ان حارتنا تمتلئ بها، وكثيراً ما كنت أراها، لكنى لم أكن أدرى أن بها مفتاحين، قال

سعيد صديقى أن مفتاح الجنة لا بد وأن يكون من الذهب الخالص، خرجت إلى الحارة أحمل فى يدي عليه صفيح، كان الشارع يمتلئ بالناس والأطفال ولم يكن هناك سحالى ، قررت أن أنتظر عند أحد الشقوق التى أعرفها جيداً وأعرف أن بها سحالى كثيرة، جلست على حجر بجانب الشق، أخذت أنظر إليه وقد بان أسفل الجدار مشتبكاً مع الأرض مكوناً خرمًا يتسع لإدخال يدي، مرت ساعة ولم تمر أمامي سحلية واحدة، مرت ساعة أخرى ومرت من أمامي خنفساء، كان جسمي يقشعر ولكني نظرت إليها باستهانة، تركتها تسير رغم رغبتى الشديدة فى دهسها بقدمي، شعرت بالجوع فأخرجت من جيب البيجامة لقمة ناشفة أخذت أقضمها بتلذذ، كأن الأرض انشقت وابتلعت كل سحالى الحارة، مرّ النهار وأظلمت الدنيا ولم تكن بي رغبة فى الرجوع قبل أن أصطاد واحدة، لو أننى رجعت الآن لضربنى أبى كما يضرب أمى كل ليلة، بحلقت فى الخرم، شعرت فجأة برأسى يرتج، نظرت ورائى، أمامي، بجانبى، كان يقف ويده فوق رقبتى، نظرت إليه فى دهشة، أمسكنى من ياقة بيجامتى، جرجرنى فى اتجاه بيتنا، انتهيت خلاص من دروسك عشان ترمح الرمح ده يا جبان، كانت رغبتى فى البكاء شديدة، لكنى لم أبك : أنا خلصت مذاكرة يا خويا. ضربنى بقدمه، وقعت، لم أبك، غور من وشى على أوضتك، إياك أشوفك صاحى . صعدت إلى السرير ولم أكن اريد النوم، قررت أن أظل صاحياً تحت اللحاف، ورأيتها، كانت تتسلل خارجة من الخرم، كان الخرم كبيراً جداً، وكانت السحلية أيضاً كبيرة جداً، لم أر مثلها فى حياتى، أخرجت لسانها فبان مثل الأستك الرفيع، وقفت أمامي ونظرت إلى،



ف نظرت إليها، كانت عيناها حمراوين، لم تكن معى علبة الصفيح، مدت لسانها فجأة فلسعنى فى وجهى، أخذ يلف حول وسطى وعنقى وقدمى، بدأت تشدنى إليها، ولكنى أمسكت بالأرض وصرخت، ولم يكن هناك أحد بالشارع فاتجهت إلى فمها الواسع جداً، وابتلعنى، تخبطت فى الجدران وكان الظلام شديداً، اصطدمت بشيء صلب، كان يشع نوراً، لمسته، كان ناعماً، تحسسته، كان مفتاحاً، بل كانا مفتاحين كبيرين متشابهين حتى اننى لم أعرف أيهما مفتاح الجنة، وضعت أصبعى على أحدهما، أشرت للآخر، قلت : حادى بادى، سيدى محمد البغدادى، دى من دى يا خير الله، الأحسن دى . استقر أصبعى على أحدهما، قلت هذا هو مفتاح الجنة، حملته رغم ضخامته الشديدة، كانت هناك سلالم تتجه إلى أعلى، صعدت عليها إلى أن أصبحت فى الخارج . نظرت إلى السحلية، قلت أنا متشكر يا أختى . نظرت إلى وضحكت فضحكت، سارت بعيداً على فحملت المفتاح فوق كتفى وأخذت أسير فى طريقى إلى الجنة، لم أكن أعرف أين توجد الجنة، ولكن أخذت أسأل بصوت عال: فين الجنة والنبي يا عم .

قال أبى أننى فقدت عقلى وصفعنى على وجهى، قمت مفزوعاً وأخذت أبكى لأننى لم أجد المفتاح بجانبى . نظرت إلى أبى، وجدت المفتاح يطل من زاوية عينه، خبأت نصف رغيف ناشف داخل جيب البيجامة، بحثت عن العلبة الصفيح، قلت : أنا رايع اذاكر عند حسين صاحبى . لم أذهب لحسين، وقفت عند الخرم، نظرت اليه، كان بالأمس واسعاً، وجدته ضيقاً شديد الضيق، جلست على الحجر المواجه للخرم،

وضعت العلبة الصفيح بجانبى، أخرجت نصف الرغيف الناشف، أخذت أمضغه، قلت : اطلعى يا سحلية عشان أسبق أبويا وأروح الجنة أنا وأنت وحدنا. كان الخرم يتسع، وكانت هناك سحلية تزحف خارجة منه، وقفت، أمسكت زلطة فى يدي، أخرجت لسانى : أنا رايح الجنة غصباً عنكم. قذفت الزلطة فلم تصب السحلية، قذفت أخرى وأخرى ولم أفلح فى إصابتها، ولما لم أجد ما أقذفها به، وقفت السحلية واستدرت لى، نظرت إلى وأخرجت لسانها، لم يكن طويلاً مثل الأستك، جريت أبحث عن زلطة، نظرت ورائى فكانت السحلية تبتعد.

\* \* \*



### كانت الحرب قائمة

وساعة العصارى، نادى على الولد أحمد، ونادى على الولد حازم،  
والبنيت كوثر بنت عم مصطفى، وقالوا جميعاً فى نفس واحد : هيا بنا.  
فقلت: يلاً

وهناك، وحين نذهب إليه، نفرح جداً لأننا سوف نقابله، ونفرح جداً لأن  
الطريق مليان بالببط الأسود والأوز الأبيض الذى يجرى وراعنا يريد عضنا،  
فنخاف ونجرى ونحن نضحك. وحين وصلنا إليه، وقفنا على حافة النهر،  
وجعلنا من أيدينا قراطيس وضعناها على أفواهنا وناديننا بالصوت العالى فى

نفس واحد : اطلع لنا يا ديب. وسكتنا فلم يطلع أحد، وقلنا : جئنا إليك يا ديب. وسكتنا فسمعنا صوت العصافير ولم يرد أحد. وانتظرنا أن يخرج لنا فخرج، وانتظرنا ان يتكلم : أهلاً بالعيال. دخل فدخلنا. بيته فى النهر، وقال أبى : إذا خرج الديب من النهر مات كما السمك. جلس على الحصير فجلسنا، تجمعا حوله: أهلاً بالعيال. أهلاً يا ديب. قلنا : احك لنا يا ديب، يا ديب احك لنا حكاية. تتحنح الديب، ورقص شاربيه وشعر رأسه فضحكنا وضحك، وقال: احكى لكم حكاية العزات الثلاث، واحدة بازى، وواحدة مازى، وواحدة تلعب على عكازى.

قلنا: توء توء، سمعناها أمس يا ديب، احك لنا غيرها، سمعناها أمس. حين جلس الديب مقرصاً تلملم، فاستند بكوعه على المسند، ومدد رجليه ونظر إلينا وقد ملأ على شاربيه، قال: صلوا على من يشفع فيكم.

قلنا: ألف صلاة عليك يا نبى.

زيدوا النبى صلاة.

عليه الصلاة والسلام.

كنا بالليل يا عيال، والنيا كحل ليس فيها صريخ ابن يومين، وكان البرد رصاصاً يخرم البدن، خرجت للنهر، ركبت المركب وفردت الشبك فوق نراعى وطوحتها بعزم قوتى فاستقرت فى النهر، تركت المركب تمشى مع التيار وعفرت سيجارة وغنيت عينى عليك يا مراكبى، فعجبنى اللحن فزنت فى الغناء : البحر بيضحك ليه وأنا نازل أدلّع اصطاد سمك. توقفت فجأة، فقد

هدنى السكون، وقلت لوان لى ولدنا يؤنس وحدتى فى النهر، ولكنى كنت مطمئناً فالنجوم معى، والقمر كان بجانبى فى النهر، والأسماك صحابى، ولا أخاف الليل. وكنت أسحب الشبكة، ووجدتها ثقيلة جداً فحمدت الله وقلت الخير يأتى دائماً فى الليل، وأنا أحب الليل ووشوشة النهر، وسحبت، وسمعت عويلاً وصراخاً وأصواتاً كثيرة فقلت أنا لا أخاف شياطين النهر، ولمحت سمكة كبيرة معلقة فى الشبكة، وكنت لا أستطيع رفعها فصحت صيحة عجيبة وجذبت بكل قوتى، تخيلوا يا عيال، السمكة جذبتنى، وكتاب الله السمكة جذبتنى، أنا أشد وهى تشد، وكانت قوية فسحبت المركب بسرعة شديدة فانقلبنا، المركب، وأنا، لفقت الحبل المربوط فى الشبكة على يدى ولم أتركها وأخذت اغوص، وتحت الماء رأيت أشياء عجيبة، فهذه قصور من الذهب الخالص، وهذه نساء من الحليب الصافى، هل تدرون ماذا حدث بعد ذلك يا عيال.

قلنا: لا يا ديب، أكمل يا ديب.

قال: لن أتحدث قبل أن نأكل، سوف نأكل سمكاً.

خرج الديب، وكنا نستعجله حتى يكمل لنا ماذا رأى تحت الماء، وضربت الولد أحمد على قفاه فزغدنى فى بطنى. عاد الديب رماح يحمل قفة مايئة بالسمك، سمك قرموط يلعب ويهز ذيله وشواربه، أمسكته من إحداهما فعضنى فى أصبعى، قلت: سوف أكلك يا قرموط. أشعل الديب ناراً وأخذ يشوى السمك، وقلت: ألم تجد خاتم سليمان فى بطن سمكة يا ديب؟

فأخذ يقلب السمك، وقال من بين شاربيه: أنا عثرت على خاتم الجن فى بطن حوت كبير. قلت: خبرنا يا ديب، خبرنا كيف عثرت على خاتم الجن، وهل رأيت الجن.

لن أحكى لكم حتى نأكل. فأخذنا نأكل بسرعة شديدة حتى نسمع  
حكاية خاتم الجنى، وكان السمك ساخناً فلسعنى فى حلقى ولسع البننت  
كوثر فأخذت تنفخ الهواء بغمها الصغير المليان بالسمك، وكنا نضحك،  
ومسح الديب يده فى سرواله الأسود الطويل، وقال نشرب شاياً. وقام  
لعمل الشاى، وقلت لو أن الواحد يعثر على مفتاح الكنز المرصود خارج  
بولاق كما قال أبى. رد الولد حازم: الكنز لا يفتح إلا بالدم، ولم يعثر  
عليه الرجل الذى قتل منذ ثلاث سنوات، هل تذكرون حين وجدناه  
مذبوحاً عند الترب، هذه الترب هى باب الكنز، ومن يومها لا أحد  
يمشى ناحية الترب بالليل. قلت: سوف أجده، فأنا أعرف مكانه،  
ضربنى أحمد على وشى وقال سوف أعثر عليه قبلك.

جاء الديب يحمل براد الشاى وكوز صفيح صغيراً فشرينا، وأشعل  
سيجارة ونفخ فى الهواء فتكونت سحابة من الدخان كبرت حتى كانت  
عفريناً كبيراً بحجم الهواء.

قلنا: احك لنا يا ديب. شد نفساً طويلاً نفخة وتنهذ وقال: أحكى لكم  
عن ابنى محمود، كان مثلكم بالضبط، ولد جميل بلون النهر، أمه  
كذلك، هل رأيتم أم محمود.

لا يا ديب لم نر أحداً.

أخذتها الجنية هى ومحمود لو تعرفوا السبب زال عجبكم، أصل  
الجنية كانت تحبنى جداً فغارت من أم محمود لانها أجمل منها، ولأنى  
احب أم محمود ولا أحب الجنية.

قلنا: احك حكاية محمود وأم محمود يا ديب.

ايه .. كان ذلك قبل أيام الجفاف بأيام، فى اليوم الذى ذهبت فيه لأصطاد بعيداً عند الضفة الأخرى للنهر، كان القمر كالرغيف البتاو، وكان يعوم فى النهر، قلت: سوف أصطاد القمر، وطرحت الشبك، وأخرجت من قاع المركب لقمة ناشفة وحتة جبنة وأكلت فشبع، ملت على حافة المركب وغرفت حفنة ماء بكفى شربتها فارتويت، دخنت سيجارة، وكان النهر هادئاً فتحدثت مع السمكات مقدار ساعة أو يزيد، وفى الليل سمعت صوتى يغنى أغنية النهر، وسمعت موسيقى النهر فزدت فى الغناء، ووضعت يدي على أذنى وقلت بصوت عال: اسمع يا نهر، واسمعى أيتها السمكات الطيبة:

أول ما نبدى نصلى على النبى

نبى عربى لم بعد نوره نور

عاشق رأى مبتلى قال له انت رايح فين

وقف قرا قصته بكوا سوا لتنين

راحوا لقاضى الغرام لتنين سوا يشكوا

بكوا الثلاثة وقالوا حبنا راح فين.

كان السمك ينط يلعب، وكان يقفز عاليًا فيقع فى الشبك، وكنت قد توغلت فطلبت الرجوع، وقاع المركب امتلأ عن آخره بالسمك القرموط، والسمك البساريا، وكان المركب يشق النهر نصفين، وحين اقتربت من البيت، اصطدم المركب بشئ فكاد ينقلب، ولما دقت النظر رأيت وجهين يطلان من قاع النهر، انعكس القمر على وجهى محمود وأم محمود.

بكى الديق رماح، وأخذنا نطبطب على ظهره، وقلنا لا تبك يا ديب. وأخذنا نبكى فقال لا تبكوا يا عيال. وبكىنا، وكنا نعرف ان محمود مات شهيداً على الجبهة، وأن أم محمود ماتت حزناً عليه، ومسح الديق عينيه بكم قميصه وقال: اسمعوا يا عيال، أحكى لكم حكاية.

قلنا : احك يا ديب.

كان هناك ثلاث عنزات، عنزة بازى، وعنزة مازى، وعنزة تلعب على عكازى. نظرت إلى الولد أحمد، ونظر أحمد إلى كوثر، ونظرنا إلى حازم، وقلنا فى صوت واحد: احك يا ديب حكاية العنزات الثلاث. أشعل سيجارة، وسحب نفساً نتره فى الهواء فبان العفريت كبيراً، وبانت أسنانه بيضاء مسنونة تلمع وهو يأكل العنزات الثلاث، وقلت انا أحفظ هذه الحكاية أيضاً، وكنت أنام، وبدا صوته خافتاً

صلوا على النبى

ألف صلاة عليك يا نبى

زيدوا النبى صلاة

هم ثلاث عنزات، عنزة، وعنزة، وعنزة، ولما كسانت العنزات الثلاث واحدة بازى، وواحدة مازى، وواحدة تلعب على عكازى.

كان صوته يخفت، وسمعنا صوت النهر والسمكات، وأصبح صوته همساً، وكنا ننام.

\*\*\*





كانت الحرب قائمة، وظننا انها على وشك الدخول فى شارعنا، ولو سمعت الحكاية من البداية لصدقت ما أقول، فإن العفريت لما طلع لى، وكان شكله شكل حمار، وقال لى: دلنى على الطريق. فعرفت انه عفريت حمار، وأنه كشف نفسه بنفسه، فقلت أضحك عليه، وقلت له أدلك بشرط أركب فوقك، وقيل أن أركب، أغمدت مسماراً فى مؤخرته، فنهق وشهق ورفس الأرض بقدمه ومرغ جسمه فى التراب وأخذ ينط، وكذبت أضحك، وقال: ارحمنى يا سيدى وشيل المسمار وأنا أفعل ما تأمرنى به. فلما تيقنت أن العفريت أصبح حماراً بحق وحقيق، وأنه لن يتحول إلى عفريت إلا إذا نزعنا المسمار - ركبته - وفوق ظهره هزرت

رجلى، وعلى قفاه ضربته، ثم إننى كلمته قائلاً: حيا حمار. فشهو  
ونهو ورفس وضرب الهواء ببوزه وقال: حاضر يا سيدى، ارحمنى  
وشيل المسمار. ولما وصلت إلى البيت، قفزت إلى الأرض، سقت  
الحمار حتى باب البيت، وارتب الباب وأنا خلفه، أدت الحمار حتى  
أصبح ظهره فى وشى ومددت يدى ونزعت المسمار من تحت ذيله،  
وبسرعة أغلقت الباب حتى لا يتسرب ريحه إلى بيتنا فيحرقه.

ضحكت البننت «زقلط، الطويلة ذات الضفائر الطويلة والضحكة  
الطويلة التى تشبه صوت الضفدعة، قالت خالتى أنها عانس وبابره،  
وأنها مثل البيت الوقف، وكنت أجلس بجانب البننت «زقلط، فتقوم  
وتبوسنى فى فمى بوسة طويلة فأتضايق وأقول بيننا ريحة حنكك وحشة  
يا زقلط. فتقف وتضربنى على قفاه بكفها الكبيرة فتفرقع وأعيط،  
وأحلف أنى لن ألعب معها مرة ثانية، ولكن البننت زقلط التى تسكن أمام  
بيتنا تجىء عندنا وتقول: ما تزعلش منى ومش هاضريك. فأطلب منها  
ألا تبوسنى فى فمى مرة ثانية لأن ريحتها وحشة. فتقول مش هابوسك  
من حنكك، أبوسك من خدك. فأوافق، وتبوسنى لسانها يلحس خدى  
فأقرف وأتضايق وأقول: إنتى مقرفة يا زقلط. فتضربنى على خدى  
وقفاه بيدها الثقيلة الناشفة فتفرقع وأعيط، وعندما أقول لأمى أن البننت  
زقلط تضربنى، تقول: ما تلعبش معاها ثانى.

فى بيتنا تسكن خالتى «أم نبيل، زوجة «أبو نبيل، الترزى، والذى لا  
يرجع البيت إلا فى آخر الليل، فتأخذنا ونجلس على مصطبة السلم  
ونظفئ كل الأنوار خوفاً من غارات الأعداء، كما قال رجال الدفاع  
الشعبى، فتحكى والدنيا كحل، وأنا أخاف مما تحكيه أم نبيل، فإنها لما  
رجعت من الشارع، وجدت الباب مفتوحاً، وكانت أغلقتة قبل أن

تمشى، ولم تأخذ فى بالها ودخلت الشقة، لكنها وجدت الأرناب تملأ الشقة عن آخرها فقالت من أين أنت الأرناب، وعندما نظرت وجدت عيون الأرناب تطلق بالشرر، فأيقنت أنها عفاريت عاملة أرناب، رمت ريقها فى عباها وقرأت الكرسي فأخذوا يحترقون وهم يصوتون ويقولون: الرحمة.. الرحمة يا ست. وهى تقرأ حتى احرقتهم جميعاً. وتلمسنى زقلط، فأفزع وارتعد فتقول لى أم نبيل: اسم الله عليك يا خويا، الشر بره ويعيد. أقول وأنا أتلفت حولى: هى العفاريت تنقلب أرناب؟ كيف أعرفهم لو طلعوا لى؟

تقول خالتي أم نبيل: ما يطلعوا إلا إذا كنت وحدك.

وترد زقلط: أنا معاك ومش ها يطلعوا لنا.

بس انتى بتبوسينى وأنا باقرف يا أختى.

فيحمر وجهها وتقرصنى فى وركى، وتنظر إليها «أم نبيل»، وتضحك وتقول لها: يا شقية، ربنا يعدلها لك ويرزقك بابن الحلال. وتنظر زقلط إلى الأرض فى كسوف شديد. ولما أطلع بيتنا، وتطفى أمى نور الشقة وتأخذنى فى حضنها تقول: من إيه بتخاف؟ فأرد: من العفاريت الأرناب. فتقول وهى تضحك: ما عفريت إلا بنى آدم، نام وما تخافش، أنت فى حضن أمك. فالتصق بها والدنيا حر، والعرق البارد يملأ وجهى ولا أستطيع أخذ نفسى، وأحس بخروشة فأكتم نفسى حتى أسمع جيداً صوت العفاريت وهم يتحولون إلى أرناب، إلى أن أنام.

كان الرجل يعلق الكهارب على بيتنا وفى الشارع فمنعه رجال الدفاع الشعبى، فغارات الأعداء فى كل لحظة، وكانت أمى تزغرد ونساء شارعنا وهن يفركن الكسكى فى الطشت الكبير، وكنت أف

بجانب البننت زقلط، وقالت خالتي: ربنا يعدلها لك يا زقلط يا بنت حواء  
وآدم يارب. وانكسفت زقلط وأدارت وجهها للناحية الأخرى وفرصتني،  
في وركي وقالت: تعالي نزرعد. قلت لها انني لا أعرف، ولكنها  
وضعت يدها على فمها وأخذ لسانها يطلع وينزل، وكانت الذغزدة  
تخرج صوتاً، قلت: إنتي كمان ما بتعرفيش نزرعتي يا أختي. فأخذتني  
من يدي ومشينا إلى شارع عشرة وكان الزرع طالعاً كبيراً جداً  
والأرض مروية، والدنيا كحل. قلت: أنا خايف يا أختي. طبطبت على  
ظهري وقالت: ماتخافش، أنا معاك، وكمان أوعى تخاف أحسن  
يطلعوك. ودخلنا الزرع، وأخذت تبحث عن ضفدعة حتى وجدتها  
وكانت كبيرة جداً أخذت تنظر إلينا بعينيها الكبيرتين وتبلع ريقها وتنط،  
جرينا خلفها ننط ونحلق عليها إلى أن أمسكناها، قلبتها زقلط في كفها  
فبانن بطنها البيضاء الطرية، قالت لي: إحس. قلت: أنا خايف، وكمان  
قرفان يا أختي ويمكن كمان تكون ضفدعة عفريت. ضحكت زقلط  
وقالت أن العفاريت ينقلبون أرانب وحميراً فقط، وأنهم لا يتحولون  
ضفادع أبداً.

قلت: الحسى إنني الأول. فلحست بطنها البيضاء بلسانها الأحمر  
الكبير، وكانت تلحس وتبلع ريقها فأخذت أبلع ريقى وأنا ألحس مثلها  
حتى أعرف أزغرد، وكنت أحس بالقرف، ولكن البيت زقلط لفت رجلها  
حول رجلى فوقعت على الزرع ووقعت فوقى وقالت: يايلاً نلعب عريس  
وعروسة.

قلت: لأ. وكنت خائفاً أن تضربني فأكملت: نلعب في البيت أحسن.

قالت: نلعب هنا أحسن، يا بلاش.

قلت: بلاش. لكنها أخذت تبوسني في خدي وكانت المياة تملأ الأرض فملأ الطين هدومي، وأخذت هي تفك أزرار بنطلوني.

قلت: لو جت العفاريه دلوقتي هيقلبونا حمير أو أرانب ومش هانعرف نرجع بنى آدميين تانى.

قالت: يلا بوسني. فقبلتها، وأخذت تحك فخذيها برجلي وكانت تصرخ.

مالك يا زقلط. لم تتكلم، واتسعت عيناها ولمعتا ثم اغمضتهما فجأة وتنهدت. حين قامت من فوقى قالت: أوعى تقول لحد على اللي حصل هنا، وإلا هاضريك. ثم إنها أعطتني قرشاً وقبلتني. وكان الطين يملأ هدومي ويدي فقالت: قول لأمك أنك وقعت، وأنا هاغسلها لك.

دخلنا البيت، ورأيت أختي تجلس جنب عريستها، وأخذت اتسحب على السلم فلم يرني أحد. غيرت هدومي ووقفت بجانب أختي التي كانت تضحك. وكان عريستها يوشوشها في أذنها، زقلط كانت تقف جنب أختي فقرصتها في ركبتهما وضحكت. قالت أختي: إن شاء الله تحصيليني وتلاقى ابن الحلال يا زقلط يا رب. ردت زقلط: أنا أكبر منك بعشر سنين.

يا حول الله، البنت فاتها القطر وهاتجنن على الجواز. همست خالتي أم سعيد، وكنت أفب بجانب زقلط فقلت: أنا هاتجوزك يا زقلط، ما تخافيش.

ونظرت إلى وقالت: ياريتك كبير شوية.

فقلت أننى كبيراً جداً وأننى ألب معها عريس وعروسة، وسوف أتزوجها لأن أحداً لم يتزوجها. ووقفت زعلانة فقلت: يلا بينا نلعب عريس وعروسة. فنظرت إلى بجانب عينها الشمال، ووضعفت أصيعها الطويل على فمها وهمست: اسكت. فسكت، وقالت: اخرج استنانى بره. فخرجت، وكانت أختى، تضحك، وعريسها يوشوشها، وأمى تضحك وتزغرد، وأبى يضحك، وكان الجميع يضحكون، والبنت فردوس تغنى وهى تصفق بيديها: البنت حبت الجزار، والجزار حبها، ساب الجزيرة وراح لها، وضربها بحق السالمون.

وجاءت زقلط وامسكت يدى، واتجهنا إلى شارع عشرة، وكانت الأرض مروية، والزرع طالعاً كبيراً جداً، والدنيا كحل، ولم نكن نبحت عن ضفادع.

\*\*\*



## الحرب كانت قائمة

وجاءنى سعيد فرجاني صاحبي وقال لى: هل سمعت بما حدث يا جيمى.

قلت: لا لم أسمع بما حدث يا سعيد. فابتسم بسمة رضاء عن نفسه لإحساسه بأنه عليم ببواطن الأمور، وأردت أفوت عليه هذه الفرصة فقلت: أقولك، لا أريد أن أعرف. فاغتاظ ونظر إلى بغيظ وقال: أنت حر. وهز كتفيه: اصلك لو عرفت لن تصدق. قلت: ولا يهمنى. ويبدو أن سعيداً شعر بنيتى فى تجاهله فقال لى: لن أقول لك، وأخذ يحدث

نفسه وقد تجاهلنى تماماً: أنا شخصياً لم أصدق حين سمعت الخبر، ولكن رأيت بعينى فصدقت ولم تسعنى الدنيا من الفرحة. ولأن سعيداً كان لا بد له أن يقول لى، ولأنى كنت أريد معرفة ما حدث بأية طريقة. فقد قلت أستفزه: إيه يعنى، القيامة قامت. المسألة ببساطة، عملوا سينما فى بولاق. قال ونظر إلىّ وهو يعلم أنى حين أسمع منه هذا الكلام أنط من الفرحة، لكنى لم أفعل، وإمعاناً فى غيظه قلت: ناقص تقول لى نقلوا سينما سمارة وسينما مرمر فى بولاق، أنت عبيط يا وله.

ولم يكن سعيد هو العبيط، فقد رأينا بولاق الدكرور كلها تلتم فى المساء فى فناء مدرسة جمال عبدالناصر، وعلى حائط المبنى الأبيض شاهدنا فيلم فلسطين الثائر بطولة غسان مطر، وما أن انتهى الفيلم حتى خرجنا من المدرسة نهتف خللى السلاح صاحى.. صاحى.. لو نامت الدنيا صحيت مع سلاحي. وعرفنا أن السينما سوف تجيء إلينا يوم الخميس من كل أسبوع.

وجاءنى سعيد وقال لى: تشاركنى يا جيمى.

فقلت له: أشاركك فى ماذا يا صاحبى.

رد سعيد والتمعت عيناه: مثلما رأيت اليوم، بولاق الدكرور كلها كانت تتفرج على السينما، وأنا وأنت فى أجازة من المدرسة، يعنى لا شغله ولا مشغلة، وقعدة الفرجة تحتاج إلى شىء تتسلى به الناس، يعنى لو اشترينا «لب، وعبأناه فى قراطيس ووزعناه على الناس وهى تتفرج فسوف نكسب كثيراً كان سعيد صاحبى من النوع الحرك، وكان يعرف



من أين يأتي بالنقود، ولكنى أبديت له مخاوفى، وأنا قد نشترى اللب ونقرطسه، وفى النهاية يقع فى أرا بيزنا ونخسر الجلد والقسط. هز سعيد رأسه وخبط على صدره بكف يده وقال: طاوعنى ولن تخسر، على ضمانتى.

اشترينا كيلو لب سورى قبل موعد السينما بيومين، وجمعنا كراسات الواجب وأخذنا فى تقطيعها وعمل قراطيس متساوية عبأناها باللب ورصصناها فى صندوقين كبيرين، وقسمنا العمل بيننا بالتساوى، أنا أوزع صندوقاً وهو يوزع الآخر، وفى النهاية نجعم الغلة كما يقول سعيد ونقسمها بالتساوى ويا دار ما دخلك شر، ولأن سعيد ابن سوق ومتودك فقد أمطرنى بنصائحه الغالية، مرّيا جيمى بين صفوف الناس وهى قاعدة وارمى قرطاس اللب فى حجر كل واحد ولا تأخذ منه شيئاً حتى تنتهى من توزيع القراطيس كلها، ساعتها، ترجع تلم الفلوس وأنت مطمئن، لأنهم سوف يفتحون القراطيس دون أن ينتبهوا وهم يتفرجون.

وجاء يوم الخميس الذى كنا ننتظره أنا وشريكى، كنت قد خبأت صندوق اللب فوق السطوح حتى لا يراه أحد فيفضحنى، وفى الصباح، فتحنا عيوننا على نبأ استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض على الجبهة، كان بين جنوده يتفقد أحوالهم حين فاجأه ملك الموت، وانقلبت بولاق الذكرور كلها عباط على الشهيد، وظهرت صورته فى أيدى الباعة بملابسه الرسمية، كانت الصورة الصغيرة تباع بتعريفه، أما الكبيرة فبقرش، فاجأنا إحساس باليأس أنا وسعيد، فلو ألغيت السينما فى المساء حداداً على روح الفقيد فسوف تبور تجارتنا ونجلس نحن نقرقز اللب الذى طفحننا الدم فى جمع فلوسه وشرائه.

رينا يستر . قال سعيد، وجلسنا ننتظر حلول المساء ونرقب ما سوف يحدث، وبين فترة وأخرى نحوم حول المدرسة التى سوف تقام فيها السينما نستطلع الأخبار، كان كل شيء يبدو هادئاً ولم ترد أنباء عن إلغاء سينما يوم الخميس، كذلك لم ترد أنباء بتأكيد إقامة السينما. أخذ النهار يختفى ببطء شديد، بينما أنا وصاحبى جالسان نضع أيدينا على خدودنا وأمامنا صندوقان ملآنان بقراطيس اللب لا ندرى ماذا نفعل بهما، قال سعيد: على فكرة، ممكن نسرح به فى الشوارع أو فى الجنينة.

هزرت كتفى ولم أوافق على فكرته واقترحت عليه أن يشتري نصيبى بأى ثمن يريده هو قلم يوافق أيضاً، وبينما نحن جالسان هكذا نندب حظنا ولا نعرف كيف نخرج من ورطتنا، إذا بالميكروفون يذيع النبأ. بعد دقائق، ستبدأ سينما مدرسة جمال عبدالناصر عرض فيلم ٣٦ ساعة فى الجحيم. انتترنا واقفين، ومن الفرحة احتضنا بعضنا غير مصدقين أن المعجزة حدثت. حمل سعيد الصندوقين حتى ناصية الشارع حتى لا ترانى أمى أو أبى وأنا أحمل صندوقى، ثم تسلمته منه واتجهنا رأساً إلى المدرسة. كان الزحام شديداً على باب المدرسة فانتظرنا حتى دخل آخر واحد ودخلنا، كان الجميع يجلسون فى فناء المدرسة على الأرض الرملية، وكانت آلة السينما موضوعة على تريبزة عالية وسط الناس، وأمامها، يقع الحائط الذى يستخدم شاشة للعرض، انطفأت الأضواء فجأة وظهرت حزمة الضوء القوية على الحائط فافترشته، ثم إنها أخذت تميل وترتفع وتنخفض حتى استقرت، ثم بدأ

البكر يدور، رأينا فرقة رضا ترقص وتغنى فدادين خمسة، خمس فدادين، لحظتها، صفر سعيد بغمه وكانت تلك العلامة المتفق عليها لنبدأ عملنا، أخذنا الصفوف من أولها، أنا من ناحية، وهو من ناحية، بدأت أخرج القراطيس من الصندوق الذى أحتضنه بذراعى وأرمى بها على الزبائن، وما كدت أنتهى حتى بدأ عرض فيلم عن فيتنام فأخذت أنظر إلى المرأة التى تضع طفلها على كتفها، ويبيدها الأخرى تحمل بندقية تصويبها إلى طائرة تحوم فوق رأسها.

صفق الجمهور للمرأة التى اصطادت طائرة بيد واحدة.

كان سعيد يقف فى الجهة المقابلة ممسكاً بالصندوق الفارغ بعد أن ورع كل ما كان معه من لب، وكنت أنتظر خطوته التالية لأعمل مثلما يعمل، ولا بد أنه كان يرقبني هو أيضاً، فقد وقف ساكناً، وبدا مستغرقاً فى الفيلم الأجنبى الذى بدأ لتوه، وكانت هذه خطته كما سوف أعلم بعد ذلك، فقد أطمأنتت إلى أن الأمور تسير على ما يرام فبدأت أتفرج أنا أيضاً وبدأ الفيلم يشدنى حتى إننى نسيت نفسى وكل من حولى، ولم أنتبه إلا والنور يضاء بعد أنتهاء الفيلم والناس يخرجون، وقفت لا أعرف ماذا أفعل، بحثت عن سعيد فرأيتة يحاسب أحدهم، ثم إنه نظر من وراء كتفه فلمحنى أنظر إليه، أشار لى وأخذ يضحك وقال لى بالصوت العالى: شربتها يا حلو. ثم وضع يده على جيبه واختفى من أمامى.

\*\*\*

# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الازداع بدار الكتب ١٩٩٦/٥٥٣٩

---

I.S.B.N 977 - 01 - 6118 - 7